

انتهيا إلى الفشل ، فالعالم المعاصر فيه عدد لا بأس به من « المعالي » وثقافة القرن التاسع عشر لا تستطيع تفسير هذا العالم الجديد . وكان (آدامز) الطبيعي يرى ان قوى غير انسانية لا يمكن السيطرة عليها تحكم حياتنا : « الاضطراب هو قانون الطبيعة ، والنظام هو حلم الانسان » وقد تحقق هذا الحلم خلال العصور الوسطى بواسطة الكنيسة المسيحية . غير ان هذا النظام سرعان ما فقد في هذا العصر الجديد ، عصر التقدم والتغيير السريع . وغالباً ما كان (آدامز) يستخدم صورة مريم العذراء كرمز من أجل تقديم المثل الاعلى القديم : فهي تمثل وحدة وقوة الروح الداخلية ، في حين تمثل المحركات البخارية والطاقة الكهربائية « القوى المطلقة والساكنة » الجديدة التي تحكم العالم الحديث الآن . غير ان هذه الآلات والقوى لا يمكنها ابدأ ان تحقق حلم الانسان القديم المتمثل بالنظام في الحياة ، لأنها ليس لديها معنى روحي داخلي : « ان كل ما هو بخاري في العالم لا يستطيع ان يضاهي صورة العذراء او بناء كاتدرائية شارتر » ، وفي مستهل القرن العشرين أخذت كلمات وتعابير « القوى التي لا يمكن السيطرة عليها » و « الطاقة » و « التطور » بالظهور في روايات أخرى . وتأثر الكتاب بشكل كبير بدراسات (زولا) العلمية عن الانسان ، وبنظرية التطور التي وضعها (داروين) وبافكار الفيلسوف الالماني (فردريك نيتشه) التي تهاجم النصرانية. وفي تلك الفترة أيضاً بدأ الكتاب بالتفكير بالاخلاقيات الاجتماعية التقليدية بطريقة جديدة . فقد كانت القيم التقليدية تركز على فكرة المسؤولية الفردية : بإمكان الانسان بل ويجب عليه الاختيار بين الخير والشر . اما الآن ، فان هؤلاء الكتاب يتساءلون فيما اذا كان بإمكان الفرد ان يقوم بمثل هذا الاختيار . وحينما نظروا إلى القوى الخارجية المتعددة التي تؤثر على الانسان ، بدت لهم